

تعليقات

فضيلة الشيخ الدكتور / صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

حفظه الله تعالى

على

الطاعة الثالثة

للعلامة صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونية «رقم النسخة»

الشيخ لم يراجع التفريع

<http://www.atafreegh.com/>

الحمد لله الذي جعل فينا ولاةً للأمر، وحقق بهم استقامة الدين والدنيا وصلاح الحياة والعمر، أحمدته - سبحانه - على كل نعمة باطنة وظاهرة، فله الحمد في الأولى والآخرة، وأشهد أنه - سبحانه - هو العلي الكبير، بيده الملك كله، وله الحكم والتدبير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، بلغ الرسالة ونصحنا وأرشدنا إلى الخير الكثير، صلى الله عليه وسلم وعظم وشرف وكرم، وعلى آله وصحبه ومن استقام على الشرع وله سلم.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أيها المؤمنون، اتقوا الله حق تقاته؛ فإن التقوى هي الملتجأ وهي المنجاة.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

نَسَّءَ لُونُ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب].

ثم اعلمو أن الله فطر الخلائق كلها فهيمها وبهيمها على اتخاذ كبير يسوسها، ورأس يقودها تجتمع عليه في تحصيل المصالح المهمات، وترجع إليه في دفع النوائب المدلهمات، وكان الناس قبل البعثة النبوية يسلكون مع رؤسائهم طرائق قديداً، أشعها نهجا وأشنعها عوجا طريقتان متقابلتان، فكان فيهم قومٌ بالغوا في تعظيم رؤسائهم وطاعتهم حتى عبدوهم، وكان فيهم قوم لا يبالون برأي رؤسائهم عند المخالفة.

فالأولون أهل مصر مع فراعتهم السفهاء، والآخرون قبائل العرب في جزيرتهم الشهباء، فكان أولئك يسلمون أمرهم لرؤسائهم حتى اتخذوهم آلهةً ديانة، وكان هؤلاء يرون أن التسليم لهم ذلة ومهانة، ولما أشرقت شمس الرسالة المحمدية، وبزغت أنوار الديانة الإسلامية هُدي الخلق إلى الجادة السوية في أحكام الرعاة والرعية.

فأرسيت قواعدها وأحكمت معاقدها في معالم بيّنة بحجج مبيّنة، وكان من جملة تلك القواعد الثابتة والمعاهد النابتة؛ طاعة أولي الأمر التي أحكم نظامها وسُلكت أنظامها في أصول مُنيفة ورسوم شريفة، تكفل للخلق صلاح الحال وحسن المال.

فمن تلك الأصول: أن الله طاعتهم قربةً دينيةً يُتعبد بها الله ويُطلب فيها رضاه فهو الذي بها أمر، وهو الذي عليها أجر، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ففيه أمره بها وقرنها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وجعلها ثالث الطاعات فيما يتعلق بالأمور العامة، فقال ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»، وقال ﷺ: «إن من طاعة الله أن تطيعوني، ومن طاعتي أن تطيعوا أمراءكم»، وقال ﷺ: «من

أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله في الدنيا أهانه الله يوم القيامة». ومن تلك الأصول: أن طاعتهم تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فهي في المعروف، فإن أمروا بمعصية لم يطاعوا فيها، قال رسول الله ﷺ: «الطاعة في المعروف»، وقال ﷺ: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»؛ أي في تلك المعصية.

ومن تلك الأصول: أن طاعتهم حق ثابت لهم بالشرع لا بالزور والضرع، فلا يعلق بعصية قبلية، أو بلدية أو إقليمية، بل يدور مع من كانت له الولاية السلطانية، فلو تأمر على المسلمين عبد حبشي منهم يأنف الأحرار عادة من الانقياد له؛ لوجب عليهم السمع والطاعة له، قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»، وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن خليي -يعني النبي ﷺ- أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدًا مُجَدِّعَ الأطراف»؛ أي: لو قُدِّرَ أن تولى على المسلمين من كان قبل مملوكًا قنًا إن بلغ من قبح صورته أن يكون مقطوع الأطراف اليدين والرجلين لوجب له السمع والطاعة.

ومن تلك الأصول: أن طاعتهم تكون حسب الاستطاعة فلا يُكَلِّفُ العبد منها ما لا يقدر عليه، قال رسول الله ﷺ: «من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع»، وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتم».

ومن تلك الأصول: أن طاعتهم لا تنقطع بظلمهم، ولا ترتفع بعدلهم، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَنَهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ»؛ أي سترون من أولي الأمر منكم اختصاصات يجعلونها لأنفسهم ولمن شاءوا من حولهم، وتحدث أمور تنكرونها في الأمراء، فمتى كان ذلك، فأدوا ما لهم من حق، واسألوا الله ﷻ ما لكم من حق.

وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قلنا يا رسول الله! لا نسألك عن طاعة من اتقى وأصلح، ولكن من فعل وفعل، يذكر الشر، فقال: «اتقوا الله، اتقوا الله، واسمعوا وأطيعوا».

أقول: ما تسمعون وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. الحمد لله أتم الحمد وأوفاه، والشكر له أكمل الشكر وأعلاه، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ومصطفاه. أما بعد:

أيها المؤمنون، إن الهدى بين ضاللتين، والحسنة بين سيئتين، سيئة الإفراط والتفريط اللتين وجدت طريقهما إلى الأمور المتعلقة بطاعة أولي الأمر، فاخترع من الخلق مسالك تحيط بها تباين ما جاء به الدين القويم والشرع الحكيم.

فمن تلك السيئات: حصر حق طاعتهم فيمن كان منهم من أهل الصلاح والعدل دون الفسق والظلم، والله يقول: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]؛ أي من المسلمين، عدولاً نصيحة أو ظلمة غششة.

قال ﷺ: «أطيعوا أمراءكم ما كان؛ أي على أي حال كان، «فإن أمرؤكم بما حدثتكم به»؛ أي من الدين والشرع «فإنهم يؤجرون وتؤجرون بطاعتكم، وإذا أمرتكم بشيء مما لم أمركم به فهو عليهم وأنتم منه براء، ذلك بأنكم إذا لقيتم الله قلتم: ربنا لا ظلم فيقول: لا ظلم فتقولون: ربنا أرسلت إلينا رسلاً فأطعناهم، واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم بإذنك، وأمرت علينا أمراء فأطعناهم، فيقول - سبحانه -: صدقتم هو عليهم وأنتم منه براء».

ومن تلك السيئات: نصب طاعتهم حصناً منيعاً تُشرع به المظالم وتصحح به الزلات، وهم أناس كسائر الناس يُحسنون ويُسيئون، ويُصيبون ويُخطئون، قال ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنَّا وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضُ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعْنَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضُ».

ومن تلك السيئات: المنّ بطاعتهم والاستعلاء عليهم وشهود كونها نعمة مزجاة ومنة مهداه من المحكوم للحاكم، وما الأمر كذلك، فطاعتهم حق لهم أوجبته رب العالمين، قال الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١١٢]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

كان يزيد بن سلمة البُعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت لو كانت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعونا حقنا فماذا تأمرنا؟ فأعرض عنه ﷺ، ثم أعاد ثانية فأعرض عنه ﷺ، فجاء الأشعث بن قيس في الثانية أو الثالثة فأخذ به فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، إنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم».

ومن تلك السيئات: جعل طاعتهم سُلماً للدنيا تُرفع تنال بها، وتطوى إذا زوي عن العبد حُطامها، أو تتخذ ورقة مساومة، تكتب فتزوى وتطوى فتزوى حسب ما يستدعيه المصالح الخاصة وطاعتهم دين الله به، يُعبد الله به، لا يقويه الإعطاء ولا يوهنه الإقصاء، قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، ثم ذكر منهم: «رجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه رضي وإن لم يعطه منها سخط».

ومن تلك السيئات: توهم أن بذل النصيحة لهم، والإنكار عليهم فيما يُستنكر منهم أنه يناقض ما أمرنا به من طاعتهم قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثة - ثم ذكر منها - وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»، وقال ﷺ: «إنه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع».

فنصيحة أولي الأمر والإنكار عليهم حق من حقوقهم، لا يُجالف طاعتهم ما كان وفق المسالك الشرعية والأحكام المرعية، والعدول عنها هو الذي يخالف طاعتهم ويناقضها كالتشهير بأخطائهم وركوب سهوة الغمز واللمز والاستخفاف بأقدارهم.

ومن تلك السيئات: رفع طاعتهم فوق المأذون فيه شرعاً، ومزاحمة طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بطاعتهم، قال عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتيت النبي ﷺ فسمعتة يقول: ﴿أَتَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

أَرْكَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴿التوبة: ٣١﴾، فقال عدي: يا رسول الله، لم يكونوا يعبدونهم؟ قال: «أجل، ولكن يجلون لهم ما حرم الله فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحل الله فيحرمونه فتلك عبادتهم».

وترجم له إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب «التوحيد» بقوله: باب من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرّمه الله فقد اتخذهم أربابًا.

فاتقوا الله أيها المؤمنون! واعرفوا لهذا الأمر حقه، واقدروه حق قدره، واعلموا أن الميّن له في أحكامه هو الله رب العالمين، والمبلّغ عنه هو رسوله الرحمة المهداة للخلق أجمعين.

فهو دين الله الذي شرعه، وليس دينًا لفلان ولا لفلانٍ من الخلق، ولا شيئًا أملتته الخيارات السياسية والأحكام السلطانية، فحاربوا دعاة الفتنة الملبسين ورعاة الخيانة المشككين من الغالين والجافين، وإياكم أن تكونوا لهم سمّاعين، وقولوا: الحمد لله على نعمة الدنيا والدين.

اللَّهُمَّ آتِ نَفْسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرَ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا رَشَدَنَا، وَقْنَا شَرَّ أَنْفُسِنَا، اللَّهُمَّ وَلِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خِيَارَهُمْ وَقَهْمَ شَرِّ شَرَارِهِمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ وَلَايَاتِنَا فِيمَنْ خَافَكَ وَأَتَقَاكَ وَابْتَغَى مَرْضَاكَ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ وَلِي أَمْرِنَا، وَارْزُقْهُ الْبَطَانَةَ الصَّالِحَةَ النَّاصِحَةَ، وَجَنِّبْهُ الْبَطَانَةَ الْفَاسِدَةَ الْفَاضِحَةَ.

اللَّهُمَّ أَمِّنِ الْمُسْلِمِينَ فِي دَوْرِهِمْ، وَأَصْلِحْ أُمَّتَهُمْ وَوَلَاةَ أُمُورِهِمْ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ كَرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَنَفِّسْ هُمُومَ الْمَهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدِّينَ عَنِ الْمَدِينِينَ.

اللَّهُمَّ انصُرْ عِبَادَكَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصُرْ عِبَادَكَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصُرْ عِبَادَكَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

اللَّهُمَّ اشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنْ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ.